



تفوق الادب الاغريقي وعزاياله

الباطة — الایجاز — الصدق — الجمال

اذا كانت الجمهور الفكرية مواليد العقل فلا ادب ابنه الكر . لان كل تمدن في كل امة ، في كل عصر ، في كل حال ، يبدأ بالادب ، وبه يزق وينفوق ، وبه تتطور الممالك والشعوب . فهو الصق ظاهرات النفس بها وادلتها عليها حتى قالوا ان الادب هو الامة . كنت احدث بعضهم من عهد قريب فاشرت الى ارتقاء الامم السكونية ، فانكر علي ذلك قائلاً : — « ماذا تمنى بالارتقاء ؟ . اتمنى القوة والثروة والبطش ؟ ان كان ذلك كذلك فهلاكو وتيسور والاسكندر واضرابهم وامهم وعصورهم هي مثل الارتقاء العليا »

قلت بل اعني « الحياة الروحية » فاجاب ليبيك « ان الامم اللاتينية وقديتها لمي جعل الحياة الروحية » ، قلت وريم . قال « بأديها » . قلت لاروية عندي في ان الامم اللاتينية تتماز بالادب وان كنت لا انكر الثروة الروحية العظيمة التي ينطوي عليها الادب الانكليزي من شكبير الى برناردشو . قال حينك فلقد اتمى البحث فان « الامة بأديها »

لا اقدر ان انكر ان حجته اشرت في تسمي ، واني وان لم اسلمها كل التسليم لا انكرها كل الانكار . واني اري ان الادب ادل على الحياة الروحية من صنع النواصات وانشاء الشركات التجارية . فهل لتامثل اعلى ادبي في ام التاريخ ؟ ومن هي تلك الامة ؟ وما مميزات أديها ؟

قال الكاتب الانكليزي الذي عنده اخذت الجانب الاكبر من مواد هذه المقالة : — « امم كثيرة عرفت فن الكتابة ، وتركت فيه ابداع الآثار ، ولكن لا امة ، الا الاغريقية ، بدأت فن الادب بالمعنى الخاص ، الذي بدأت هي به ، ولا امة بلغت شأوا الاغريقين ، وبرزت ما ابرزوا من المدم . فكانوا هم الخالقين بمعنى الكلمة ، دون سائر الناس ، يدك على ذلك هوميروس والروايات الاغريقية

« يبدأ الادب طفلاً حشوه الركافة ، ثم يتدرج في معارج النمو والارتقاء ، الى ان يبلغ رشاده . اما الاغريقيون فقد بدأوا الفن راشداً . لا اخذ بمادهم في تقديس مبادئ الادب ، واشتغالها على غرر المادة . لا ريب ان بعض التواضع بلغوا مستوى الاغريقين الادبي ، ولكن لا امة بلغت مجموعها ذلك المبلغ »

فهل لذلك الادب — الاغريقي — من مزايا ؟ وما هي ان كانت ؟ واي درس عملي
نجده ، ومجده العالم ، امام عيوننا ؟

١ — البساطة والبساطة

اذا رجع القارئ بفكره من ملتن الى هوميروس ، ومن شكسبير الى صوفوكليس ، ومن
مُحَدَّثِي المؤلفين الى افلاطون ، فانه يجد نقطة واحدة كبرى ، فارقة بين ادب الاقدمين
وادب المحدثين : وهي ان كتابات اولئك « اسط و اوجز » . اي ان كتابات الاغريفيين
القديما ، تاريخية وفلسفية ، هي اكثر ايجازاً من مثلها من الكتابة العصرية . ودونك الشواهد
على ذلك : فان جمهورية افلاطون وهي تشتمل على قدر من الفلسفة اكثر من كل
مؤلف آخر ، لا تزيد على ثلاثمائة صفحة . وكتاب ارسطو في « الشعر » وقد ظل مهمل
الكتاب احياناً طويلاً ، لا يشتمل اكثر من مائة صفحة

فالبساطة والايجاز اول مزايا الادب الاغريقي . وهذه المزية جليلة في تدرج ادبهم .
فان اسخيلس يقف في اسفل سلم الرواية ، وسعة فورجياس و تومسيديس خالفاً للنثر ،
وفي كتابة هؤلاء ضعف المتكر . ولكننا نراهم يبدون في الشعر والنثر ما ابدت ارقى الامم .
وكان تقدمهم فيها حينئذ ، حتى انهم في حياة اسخيلس وصوفوكليس بلغوا اوج الابداع في
فنون الرواية والادب . ففي قرن واحد ارقى النثر الاغريقي من تومسيديس الى افلاطون
الذي قال فيه ول دورانت ان بعض كتيبه « اعظم قوة بلهها النثر في كل الصور »

قال كهان المصريين القديما لوصولون ، حكيم الاغريفيين ، يوم زار بلدهم . — « ايها
الاغريفيون اتم ابدأ اطفال » ، ولقد صدق اولئك الكهان اكثرهما ارادوا ، لان شعور
الاغريفيين لا يفتقر ولا يفتقر ، بل هو ابدأ في صوته . فهم اطفال ابدأ ، وقد جمعوا في
انفسهم وكتاباتهم قنوة الاطفال وبساطتهم ، الى عقول الرجال
واليك مثلاً من ادبهم نقلاً : —

« قال هكتور المجيد ذلك ، ومد ذراعه الى والده . ولكن الطفل نقر الى حضن
مرضيه الشغراء ، مشتمراً من رؤية والده العزيز ، اذ روعته خودة التحاس على رأسه
والطرة المنحدرة منها ، فتهقه الوالد والوالدة ، ولتحال نزع هكتور الخوذة عن رأسه ،
وألقاها على الأرض وهي تسطح كالذهب . ثم قبل طفله المحبوب ، وجعل يرتصه بين
يديه ، سائلاً زنب ان ياركة قائلاً « ايها العظيم زنبس ، يا جميع الالهة ، باركوا هذا
الطفل ، وليكن كايه شهرة بين ، الطرواديين »

هذا مثل البساطة في ادب الاغريق ، ومن الخفاقة ان يظن ان للمحدثين بساطة هوميروس او بيركليس

ويمتاز قدمه الاغريقين في عدم التمييز بين الجبين ، وفي انهم لم يشجروا قط قراءهم على كشف الفرق بينهما . واقترنت بساطة كتابهم بشي ادبي سام ، ويندر ان يجتمع هذان الأمران في غير ادب الاغريق

ان الشعر الانكليزي ، مثلاً ، غني ، فيأض في التعبير عن العواطف فهو يحكي قولنا
يا شجر الخايور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن ظريق
واما الشعر الاغريقي فعلى النضد من ذلك : ويدنه الرضن واخفاء العواطف ، تاركاً لشعور القارئ ، فسيح المجال . كذلك اشاطهم على ايتارهم الابهجاز ، قها قولهم : النصف خير الكل . ومنها : البذر يد واحدة لا بكل الهيان

وقد طبعوا تأليفهم على هذا المبدأ ، كما في كتابات ثوسيديس ، في وصف حصار سيراكوسة ، وكما في حاشية الفيدو لافلاطون ، وفي كتاب الجمهورية ايضاً ، وكما في وصف مقتل هكتور ، واجتماع بريام باختس . لا نكير في ان للاغريقين عواطف قباضة ، تميل الى التدفق والتسكاب : لكنهم كانوا يكتفون عواطفهم ويحكمون فيها عقولهم تحكماً ، وقد بسط افلاطون الكلام بهذا الشأن في قسم كبير من جمهوريته . وأبان لنا ان شك العاطفة ، عدمه ، سيل الكمال ، فكان كتابهم يقتضرون على تدوين الحقائق متجاوزين عن التحليق والتطويل ، حسبك شاهداً على ذلك ختام « الفيدو » حيث اورد افلاطون الكلام بنايه ما يمكن من الابهجاز ، وهو يصف استاذة سقراط العظيم ، فاقصر على هذه العبارة تطبيقاً على اهم حادث في التاريخ الاغريقي قال « على هذه الصورة يا انجراث ، كانت مينة استاذنا — افضل رجل عرفته وأعقل وأعدل »

٢ — العروق

والصدق اشهر مزايا الادب الاغريقي . وليس ابدعته من القول « ان اعذب الشعر كذبة » . فتعالم الحق هو هذا « ان اعذب الشعر اصدقته » . فلم يكن الشعراء الاغريقيون يرمون الى خلق عالم جديد من مجاهل الخيال ، كلاً ثم كلاً ، بل ارادوا ان يروا العالم كما هو ، وان يُروا الناس ما رآوا . كذلك توخوا الصدق في الترجمة عما يشعرون بهم فاكثروا يتدفقون وصف شعور لا يتدفق منهم تدفقاً . وبهذا الاعتبار وهو لا ورثا اديهم وفلسفتهم وعلومهم . ولقد كان صدق الاغريقين طبيعياً وعضواً ، كما كان متيناً . وتمجلى في كتابهم مزية الكاتب الذي يرى ما في الميدان ، وينسى نفسه . على انه لا

يقوتان في تلك الرؤية ، وفي ذلك الوصف ، كهربائية شديدة الضل
وان وصفهم يعادونا احراراً من بأس الحزين وذعره يدك على ذلك وصف هو يدرس
طلب بريام جنة ولده من قاتله قال : —

« فدخل بريام دون ان يشعر به ، ودنا من اخس ، وامسك بركابيه ، وتبل
يديه . فنهش الحاضرون ، ودهش اخس ، وتبادلوا النظرات . ثم طفق بريام يتوسل
اليه قائلاً « يا اخس البار ، اذكر ان لك اباً شيخاً نظري ، مشغل الهرم ، وقد نأى
عنه الافوام ، ولا احد يخشى منه شراً . وان والدك كهذا يسره الانتكار بان له ولداً حياً
وهو يتوقع يوماً بعد يوم ان يعود الى طروادة فبراه . ولكنني التاعس كل التعس ، لاني
وقد ولدت افضل المواليد في طروادة ، لم ينج منهم احد . والوحيد الذي بقي لي ، وهو
الذي كان دعامة طروادة ومستند شعبها ، هذا قاتله انت وهو يتودع عن حياضها - هكتور -
فبحق الآلهة يا اخس ارحمني ، واذكر والدك الشيخ ، واني اكثر منه شقاء ، وقد ماتت
مالم يمانه والد من الماتين . وذلك في اني ارفع تضرعي الى قاتل وحيدي »

حنا امي وبلاء عظيم ، على انه ليس هناك ادنى محاولة لاختها او تخفيفها
فالصدق في الوصف والبساطة في الايراد ينفذان بالكلام والمعاني الى مخادع النفس .
ولكن صدق الاغريقين في ادبهم لا ينحصر بالالفاظ بل يتجاوزها الى الفعال . لانهم
قادرون ان يتقوا في الموضوع الذي بالجونه . قال ثوسيديديس بصف سقوط امفيوليس
يد براسيداس : — فلما بلغ ثوسيديديس ما كان من براسيداس اطلع مسرعاً الى امفيوليس ،
للدفاع عنها اذا امكن قبل ان تسقط ، والا فيحتل اسكلها « ابون » . واذ خاف براسيداس
من وصول اسطول اثينا الى تاسوس ، وسمع ان ثوسيديديس قادم ، بذل ما في وسعه لامتلاك
المدينة قبل وصوله . فرض عليها شروطاً معتدلة ، فقبلت شروطه وسنست المدينة . وفي
المساء وصل ثوسيديديس بيوارجه الى ابون . على ان براسيداس كانت قد سبق قاحتل
امفيوليس . وفي الليلة التالية احتل ابون »

فن الذي تصور ان ثوسيديديس ، القائد الاثيني ، هو الكاتب ؟ وقد كانت ماقبة ذلك
الحادث فيه الابدي عن وطنه . وقد روى ذلك بقلبه كأنه عن غيره بشكلم لاعن نفسه ،
وقد اورد ما اورد دون تعليق او ابداء رأي او تنجج . امر كهذا لا نظير له بين القواد
المصريين . فقد اقتصر على وصف سفره في سرستروما حتى وصل ورأى امفيوليس
مفتحة الأبواب في وجهه . ولم يذكر ان الامر كلثنة ، مع اننا نعلم انه كلثنة . وعلى هذا
القياس روى يولوس كلثنة سيراقوسة . لا نعرف مؤرخاً من مؤرخي الحرب الكبرى سنة

(١٩١٤ — ١٩١٨) فعل فشل اولئك الاغريقين لاني جانب الامان ولا في جانب الخلفاء. ان هوميروس ، وهو يوناني صادق انوطية ، يكتب واصفاً حروب عشر سنوات بين مواطنيه وبين الطرواديين ، مع ذلك فكتابته تحمل قارئها على الانحياز الى هكتور الطروادي اكثر من حملها على اتوقوف بجانب اخلس الاغريقي . اما هوميروس فكانت محايداً ، لامع هذا ولا مع ذلك . فكان قلماً قلم ملاك يكتب وهو في قبة الفلك ، لا قلم كاتب لرضي تحت ظل القسطل

تستفز الشاعر الاغريقي الحقائق لا الاصوات ، ولا الشعور الملبس الحقائق . ولذلك ليس من السهل استنباده للكلمات . فيصح اتخاذها مثلاً للشاعر . بل التل الاعلى للشاعر في كل الصور . فالجانب الاكبر من شعر الاغريقين هو شعور بالاشياء لا بالالفاظ

ومن الصدق الصراحة التامة . والصراحة هي الصريح المتبع الذي يهتدي غمزات الانانية التي تقتض الشعر بسهولة . والانانية خطأ الاساليب ، كما انها خطيئة الادب . وهي صرف الرجل نظره عن العظام الى الصفائر ، والانحباب من العالم الواسع الى المحيط الضيق النطاق . الى الذات . فلقد كان شعراء الاغريقين احراراً من الازرة اذ كانت الصراحة تصرف نظرم الى العالم الخارجي . والازرة هي عيب الادب الانجليزي الخاص (ان قائل هذه اليبارة انجليزي) فان هاودي ودكز كانا معرضين للنظر في جانب واحد ، ومثلها كان تولستوي . اما الاغريقون فكانوا اشمل نظراً ، واسلم حكماً . فلأرى في اياذة هوميروس شخصية كانتها بل شخصية هكتور ، محط آمان طروادة ، وامرأته ، وابنه ، يتوقفون بحياة الوطن . وزى شخصية اخلس الذي فته موت صديقه ، دون تعليق او تعجب . بل وصف الامور كما هي . اما الذين يتوقفون من دكز وهاودي وصف الكون فهناك جوابان الاول : ان كونها غير الكون الذي وآه شكبير او مريدت

الثاني : ان تاريخ الادب الانجليزي والفرنسي من ١٥٠ سنة هو رجعي . وكل فترة من فتراته هي ضد سابقتها . فالوهية ضد الفلسفة ، والفلسفة ضد الحية ، وهكذا اما في تاريخ الادب الاغريقي فنرى غير ذلك . فقد تلا عصر الماسي عصر الكوميدي وتلا هذا عصر الشعر الاسكندري . تلا هوميروس ثوسيديديس ، وتلا ثوسيديديس افلاطون وزملاؤه . ولم يكن احد من هؤلاء ضد سلفه . اجل ان في بوريديس تقدماً لهوميروس وذلك في تعليق بويدس على صفوقليس . ولكن هوميروس شخص لا فن . ليس كالمدهاء بين فكتور هوتغو وبين فولثير . او بين هذا وبين كلوير . فلا رجعية في ادب الاغريق ، لان سيرم كان حقيقياً لا وهمياً

٣ — الجمال

وهنا محط الرحان . الجان مزية مزايا الادب الاغريقي . ميثولوجيا جميلة ، شعر جميل
 نثر جميل ، وصف جميل . لجمال الادب الاغريقي ليس جان الكلمات والاستعاره بل جمال
 الفن الراقى نكأن الطيعة ، هي التي تكلم لا الانسان . وقد اثبت مكانة الادب الاغريقي
 اثنان من اشهر شعراء الدنيا وهما جويته وكينس . قال جويته : « في حضرة النصف الغنية
 يشعر العقل انه أكل نظام روحي . فلا ناشيد هوميروس الى هذا اليوم قوة محررنا نوعاً من الجهل
 السريع الذي يلميه علينا اسطورة الاجيال . » هذه العبارات ضرب جويته على نقطة البساطة
 الطيبة في الادب الاغريقي . وذلك على الضد من الادب الاجنبي الذي اشتهرت به الاجيال الوسطى
 اما كينس فقد كتب انشودة القنم اليوناني فوصف فيها قدرة جمالها على التحرير ،
 قال : « انت ايها الشكل انصامت ، محررنا من قيود الفكر كما تفعل الابدية . وبني ابنى هذا
 الحيل السرّيقى — انت — في وسطى . آخر غير وسطاً صديقاً للانسان الذي تحاطبهُ بقولك
 « الجمال حقيقة — والحقيقة جمال . » هذا كل ما نعرفه على الارض ، وكل ما يلزمك ان نعرفه »

البساطة الاغريقية تفذ بنا الى كنه الاشياء

الصدق الاغريقي يتحدى العالم ، لنذ الموسيقى العصرية الفارغة وعنه اقتبس هذه

المنزلة كبار شعراء الانجليز

هذه هي فتوى المهايدين الذين يوازنون بين هوميروس والمتشددين والماسانيين
 وافلاطون ونيوكريوس والنكتيين في الجانب الواحد ، وبين ارباب الادب العصري في
 الجانب الآخر . فقد كان قدماء الاغريقين اكثرنا شعوراً بالجمال ، كما هو شأن الشعوب
 يتفوق كل منها على اخيه بشيء ، هذا باللون وذاك بالصوت وهكذا

لقد وجدت اغريقيا العالم في القرن الثامن عشر ، كما في عهد النهضة ، مكسلاً بالانحلال
 والقيود ، فقطعت السلاسل وكسرت القيود ، وحطت الابواب ، بل دكت اسوار الباستيل
 الادبي دكاً . ومع اختلاف القيود في المصيرين احتلافاً يتناً ، في عصر النهضة وفي القرن
 الثامن عشر ، مع ذلك الحرية في الموقفين كانت ناشئة عن رؤية الجمال الاغريقي . وفي عصرنا
 قيود تقال ذكرها جويته ، وتلك القيود تفسر الفصح لا الجمال . وعلاج هذا الداء الويل
 اليوم هو علاجه في عصر سلف — رؤية الجمال — فالجمال خالق الحب ، والحب خالق
 الادب الصحيح ، والادب الصحيح هو لباب حياة الامة في كل عصر وفي كل مصر

هنا نبدأ

القاهرة





الدكتور روبرت ميلكن

Dr. R. A. MILLIKAN

العالم الطبيعي الاميركي نائل جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٢٣ واكبر
الباحثين « في الاشعة الكونية ». وقد اتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم
الاميركي خلفاً للاستاذ الدكتور هنري فيرفيلد اوزبورن في ديسمبر الماضي